

التحرير والتنوير

وجملة (وكفى باء وليا وكفى باء نصيرا) تذييل لتطمئن نفوس المؤمنين بنصر الله لأن الإخبار عن اليهود بأنهم يريدون ضلال المسلمين وأنهم أعداء للمسلمين من شأنه أن يلقي الروح في قلوب المسلمين إذ كان اليهود المحاورون للمسلمين ذوي عدد وعدد وبيدهم الأموال وهم مبعوثون في المدينة وما حولها : من فينقاع وقريظة والنظير وخيبر وسوء نواياهم ليسا بالأمر الذي يستهان به فكان قوله (وكفى باء وليا) مناسبا لقوله (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي إذ كانوا مضرين لكم السوء فاء وليكم ويهديكم ويتولى أموركم شأن الولي مع مولاه وكان قوله (وكفى بـ نصيرا) مناسبا لقوله (بأعدائكم) أي فاء ينصركم . وفعل (كفى) في قوله (وكفى باء وليا وكفى باء نصيرا) مستعمل في تقوية اتصاف فاعله بوصف يدل عليه التمييز المذكور بعده أي أن فاعل (كفى) أجدر من يتصف بذلك الوصف ولأجل الدلالة على هذا غلب في الكلام إدخال باء على فاعل فعل كفى وهي باء زائدة لتوكيد الكفاية بحيث يحصل إبهام يشوق السامع إلى معرفة تفصيله فيأتون باسم يميز نوع تلك النسبة ليتمكن المعنى في ذهن السامع .

وقد يجيء فاعل (كفى) غير مجرور بالباء كقول عبد بني الحسحاس :
" كفى الشيب والإسلام ناهيا وجعل الزجاج الباء هنا غير زائدة وقال : ضمن فعل كفى معنى اكتف واستحسنه ابن هشام .

وشذت زيادة الباء في المفعول كقول كعب بن مالك أو حسان بن ثابت :
فكفى بنا فضلا على من غيرنا ... حب النبي محمد إيانا وجزم الواحد في شرح قول المتنبي :
:

كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني بأنه شذوذ .
ولا تزداد الباء في فاعل (كفى) بمعنى أجزأ ولا التي بمعنى وقى فرقا بين استعمال كفى المجازي واستعمالها الحقيقي الذي هو معنى الاكتفاء بذات نحو :
:

" كفاني ولم أطلب قليل من المال (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا [46]) يجوز أن يكون هذا كلاما مستأنفا .

و (من) تبعية وهي خبر لمبتدأ محذوف دلت عليه صفته وهي جملة (يحرفون) . والتقدير : قوم يحرفون الكلم .

وحذف المبتدأ في مثل هذا شائع في كلام العرب اجتزاء بالصفة عن الموصوف وذلك إذا كان المبتدأ موصوفاً بجملة أو ظرف وكان بعض اسم مجرور بحرف (من) وذلك الاسم مقدم على المبتدأ . ومن كلمات العرب المأثورة قولهم " منا طعن ومنا أقام " أي منا فريق طعن ومنا فريق أقام . ومنه قول ذي الرمة : .

قتلوا ومنهم دمه غالب له ... وآخر يذري مدعة العين بالهمل أي ومنهم فريق بدليل قوله في العطف وآخر . وقول تميم بن مقبل : .

وما الدهر إلا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح وقد دل ضمير الجمع في قوله (يحرفون) أن هذا صنيع فريق منهم وقد قيل : إن المراد به رفاة بن زيد بن التابوت من اليهود ولعل قائل هذا يعني أنه من جملة هؤلاء الفريق إذ لا يجوز أن يكون المراد واحداً ويؤتى بضمير الجماعة وليس المقام مقام إخفاء حتى يكون على حد قوله عليه السلام " ما بال أقوام يشترطون " الخ .